الذكرى السادسة لإستشهاد
الرفيق القائد غسان كنفاني

نهر آخر اجراه غسان على صفحات "الصياد"

الرواية ، والقصة القصيرة ، كانت البحر الذي خلقه « غسان كنفاني » في ذاكرة الثقافة الفلسطينية والعربية ، ولكن انهارا عذبة اجراها غسان لترفد هذا البحر الاخضر في صحراء الذاكرة ٠

نهر جديد ، غير الرسم والزخرفة والنقد الادبي والمسرح والمقال السياسي ، نهر جديد عذب اجرته اصابع « غسان » على اوراق مجلة « الصياد » بتوقيع « فارس فارس » ، الاسم المستعار الذي كان غسان يوقع به زاويته الدائمة « كلمة نقد » في المجلة البيروتية « الصياد » ٠

هذا النهر الجديد هو « الادب الساخر » ، او « النقد الثقافي الساخر » ، حيث كان غسان يتناول في زاويته بأسلوب صحافي ساخر « كتابا سعوديا استشهد بأشعار عنترة ، لدحض النظرية العلمية القائلة بكروية الارض » ، او برامج التلفزيون اللبناني الموجهة من المخابرات المركزية ، كما كان يتناول بأسلوب ادبي ساخر فذ مشكلة شعبية كمشكلة السير وتزفيت الشوارع ٠

لقد كانت عبقرية « غسان كنفاني » تكمن ليس في تعدد اوجه نشاطه الثقافي ، انما في نوعية هذا النشاط ورفعة مستواه الفني ، الذي يجعل من تفاصيل الحياة العادية عملا فنيا كبيرا ، ومن المفاهيم البرجوازية للفن والثقافة اضحوكة يرثى لها عندما تلتوي بين اصابع غسان المبدعة ٠

ان هذا النوع من الادب الصحافي قادر على ترسيخ الافكار التي يريدها الكاتب في اذهان القراء عبر اللقطة الذكية ، او الفكاهة الساخرة الموجهة ٠ فكتابة غسان في هذا الجنس من الكتابة الادبية لم تكن تهدف غير مصارعة الاعداء الطبقيين والقوميين على جبهة الصحافة الساخرة ايضا ٠٠ غسان بذكاء ووعي كان يجعل البرجوازيين يقهقهون على انفسهم ، ويسخرون من انفسهم ، كان يسخر منهم على موائدهم وكانوا يقلبون على قفاهم ، وهو يحدثهم عن حقيقة انفسهم الخاوية ٠

لقد كان البرجوازيون وما يزالون يفخرون باحتواء مكتباتهم على مؤلفات تشيخوف في الوقت الذي يفضح تشيخوف حقيقة الاخلاق والعلاقات الاجتماعية البرجوازية ومن بينها مفاهيمهم الثقافية السطحية ٠

لم يوفر غسان سلاحا يواجه به الاعداء على جبهة الثقافة والادب والفن والصحافة ٠٠ وعلى باقي الجبهات ٠ وكما قال محمود درويش ، لم يكن غسان كاتبا ومناضلا ٠٠ لقد كان كاتبا مناضلا ٠

هـ ٠ دانيال

البوينغ السعودية تثبت ان الارض لا تدور!

جرت العادة في هذه الايام ، وعند الدكاكين المتطورة ، ان يقدموا لك مجانا صابونة اذا اشتريت علبة برش ، وجوز كلسات اذا اشتريت بنطلونا ، وهذا الاسلوب هو تطوير حضاري لما كانت امهاتنا يسمينه « عالبيعة الله يخليك » ٠٠ هذه المقدمة ضرورية كي افسر لماذا شعرت بان الكتاب الذي اشتريته مؤخرا كان ناقصا « عالبيعة » ، فقد كان من المفروض ان تعطى معه مجانا سلة مهملات ، كاشارة الى مصيره ، او على الاقل كان من المفروض ان تربط اليه عصا خيزران وذلك كي ينهار القارىء على نفسه ضربا بعد الانتهاء من قراءته ، من باب الندم والنقد الذاتي ٠

واذا تعذر بيع الكتاب المذكور مع سلة المهملات ، او عصا الخيزران ، في ربطة واحدة وبسعر مخفض فقد كان لا بد على الاقل أن تهدي المكتبة مع الكتاب مظروفا وورقة وطابعا كي نرسل الى المؤلف مكتوبا نقول له فيه رأينا ، ونوفر على انفسنا انهيارا عصبيا او اصابة بالقرحة ٠

اما الكتاب فأسمه (فارجوك ايها القارىء الصديق ان تتماسك) :

والادلة النقلية والحسيه على جريان الشمس وسكون الارض وامكان الصعود الى الكواكب ، أما المؤلف العظيم فهو عبد العزيز بن باز وهو (وارجوك ان تتماسك مرة اخرى) رئيس جامعة المدينة المنورة في المملكة العربية السعودية خص الكتاب - كما لا شك تخمن - هو ان صاحبنا البروفسور بن باز أخذ على عاتقه في ٧٥ صفحة ان يبرهن لك ولي وللجدعان ان الارض ثابتة راسخة لا تتحرك قيد شعرة وان الشمس ايها الشاطر هي التي تركض وتدور حول الارض !!

يقول المؤلف : « اما بعد ، فلقد شاع بين كثير من الكتاب والمؤلفين والمدرسين في هذا العصر أن الارض تدور والشمس ثابتة ، وراج هذا على كثير من الناس ، وكثر السؤال عنه ، ورأيت ان من الواجب ان اكتب في هذا كلمة موجزة ترشد القارىء الى أدلة بطلان هذا القول ومعرفة الحق في هذه المسألة » ٠

ان الصوت الذي تسمعه ايها القارىء هذه اللحظة بالذات ، ليس صوت ضميرك المنزعج ، ولكن صوت عظام المرحوم غاليلو وهي تكركع وتسلم على عظام نيوتن !

ومع ذلك فان لدى البروفيسور بن باز براهين قاطعة على صحة ما يذهب عليه ، بينها قول عنترة :

« فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع »

ان النقطة الثقل في هذا الاستشهاد هي كلمة « ترسو » ، وليس كلمة « الجبان » كما قد يكون خطر على بالك قطعا - واذا كان هذا البرهان لم يقنعك بصورة قاطعة بأن الارض ثابتة والشمس تدور ، فاليك هذا البرهان الذي له دوي المدفع :

« به خالدات ما يرمن وهامد واشعث أرسته الوليدة بالفهر »

ان نقطة الثقل هنا ايضا هي « أرسته » التي جاءت من رسا يرسو ، والرسو هو الثبات ، ويقال رواسي وهي جمع راسية ، مثل ارسيت الوتد في الارض ، اذا اثبته ، وهذا يعني ان الارض ثابتة والشمس تدور !

أما اذا كنت عنيدا لا تفهم بالعقل ، وما زلت مصرا على ضلالك ، ولم تكفك هذه البراهين (مع العلم ان بينها برهانا على لسان عنترة) فاليك السهم الاخير يقذفه الاستاذ بن باز نهايمر في الصفحة ٦٨ :

« ولا شك أنكم ركبتم اكثر من مرة طائرة البوين السعودية الفخمة ولهذه الطائرة الكبيرة مقاعد عن اليمين ، ومقاعد من الشمال (مش قليل) ! فهل اذا ركب الراكب من اليمين ثم طارت الطائرة وتحولنا شمالا وجنوبا ، فهل يتحول ويقفز مقعد اليمين الى الشمال والشمال الى اليمين ، وكلما انتقلت الى جهة انتقلت معها المقاعد ام هي ثابتة قارة في اماكنها لا تتحرك ولا تتحول ولو تحركت الطائرة مئة حركة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا » ؟

ها ؟ ها ؟ شرف اجب عن هذا البرهان المحرج يا جاهل ، يا هذا الذي يعتقد ان الارض تدور !

انك اذا قرأت المكتوب على ظهر تذكرة السفر بالطائرة ، المتضمن تعليمات عن العفش والاتجاه والتأمين ، لا شك سترى بندا خاصا يتعلق بدوران الارض ، بمثابة ملحق علمي كتبه الاستاذ بن باز لتطمين ركاب البوين الفخمة ، واذا لم يعجبك الامر ولم تصدق فما عليك الا ان تدعو مضيفة طائرة البان امركان وانتما في الجو وتسألها بتهذيب : « ايتها المدموسيل ، متى سينط مقعدي من الشمال الى اليمين ، واين ستكونين في تلك اللحظة ؟ » !

أما اذا ما زلت عنيدا مكابرا فاليك هذا البرهان الاخير : « ان الطائرة اذا قامت من جدة الى الرياض فركابها قلتهم خلفهم ، ووجوههم الى المشرق ، واذا قامت من الرياض الى جدة صارت وجوه الركاب الى جهة المغرب ، وصارت الكعبة امامهم والمقاعد في محلها والركاب في محلهم لم يتغير شيء عن موضعه وهكذا الانسان ، فانه اذا توجه الى المغرب صارت يمينه الى جهة الشمال ويساره الى جهة الجنوب فاذا غير السير وانحرف الى جهة المشرق صارت يمينه الى جهة الجنوب ويساره الى جهة الشمال وصار وجهه الى المشرق بعدما كان الى المغرب ويداه في مكانهما ووجهه في مكانه ، ومن هذا يتضح لك أيها القارىء بطلان القول بدوران الارض وصحة القول بسكونها واستقرارها ، لان اللوازم الباطلة تدل على بطلان ملزومها ، ومن الدلائل الحسية على بطلان القول بدوران الارض انها لو كانت تدور لاحس الناس بدورانها كما يحس الناس بحركة الباخرة والطائرة وغيرها من المركوبات الضخمة » (ص٧٠) ٠

بعد كل هذه الادلة المفحمة ، والبراهين عديمة الارتداد ، بدء من عنترة بن ابي شداد نهاية بطائرة البوين السعودية التي فيها مقاعد الى اليمين ومقاعد الى الشمال ، فهل لديك ، ايها الجاهل ، ما ترد عليه ؟ وهل ما زلت تصدق غاغارين وآرمسترونغ وغيرهما من الواهمين الذين وهم يرحلون بالمركوبات الضخمة لم يشعروا بدوخة تدل على ان الارض كروية وأنها تدور ؟

ان الذي يبشر بالخير ، ويطمئن قليلا ويهدىء الغيظ ، هو ان الاستاذ بن عبد العزيز بن عبد الله بن باز قد سجل في مطلع كتابه القيم العبارة التالية : « جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف » ان هذه ضمانة تشبه ضمانات الكرنتينة وهي ضمانة مطمئنة ، ونرجو ان يظل المؤلف محتفظا لنفسه ، على طول ، ليس فقط بحقوق الطبع ، لكن ايضا بحقوق النقل والاستشهاد ٠٠ والقراءة !

ان الجامعة التي يرأسها الاستاذ بن باز تتطور بنشاط من القرن الرابع الى القرن الخامس ، وهذا دليل عافية وصحة مقارنة بهزيمة ٥ حزيران (وبالمناسبة فالكتاب الذي نحن بصدده مطبوع بعد هزيمة حزيران بعامين !)٠٠

فهل علمت ، يا استاذ ، لماذا كنا نطالب بعصا خيزران هدية مربوطة الى الكتاب ، على البيعة ؟ ٠

■ ■

هذا الجاسوس المرابط في بيتي وبيتك !

هل نحن نشاهد التلفزيون فعلا ؟ (نحن ، هنا ، ضمير قد يقصد كل طرف : وزير الانباء ، وعلي المملوك ، وانا وأنت والجدعان ، السراي والصف الخامس ابتدائي والهورس شو وزوجتك وأبنك الطالب الثانوي الذي يطول شعره بقدر ما يقصر نفوذك) :

نقول ان (نحن) ضمير يقصد كل هؤلاء ، ولكنه من المؤكد انه لا يقصد « الضمير الوطني » !؟٠

ولو كان يقصد مثل ذلك الضمير لكان علينا ان نبني بدموعنا حائط مبكى (« اقترح ان يكون من الاسفنج على كورنيش المزرعة » - مفرق اليونوسكو) فذلك على الاقل يجعلنا نشعر باننا لم نعد نفقد كل كرامتنا بعد ، وانه ما زالت امامنا ، ما دمنا نسقي ضميرنا بدموعنا كي لا ينشف مثل جلد التمساح ، فرصة للعيش مرة اخرى مثل بقية افراد الجنس البشري٠٠

شو القصة ؟

القصة ان هذا الجاسوس الذي يعيش في بيت كل واحد منا ، يقوم بوظيفة مدروسة من الساعة الستة مساءا الى الساعة ١١ قبل منتصف الليل (الا اذا كان حسن الامام ، في احد افلامه القديمة ، الممطوطة بالشوبك ، قد خطر على باله ربط عقدتين او ثلاث عقد اخرى في الفيلم) وهذه الوظيفة هي غسل ادمغتنا ، وقتل عقليتنا ، كل اطفالنا ونسائنا وبنات وأولاد جيراننا بكل الاراء الامبريالية !

وهذا ليس مبالغة بشيء ، اذ ان التلفزيون الذي نجح في ان يدخل بيت كل واحد منا يلعب عمليا الان دور جندي الاستعمار الذي يقال اننا افلحنا في طرده عن تراب الوطن ، والعلى والعلم ٠

الوسيم المنتصر

فطوال خمس ساعات من كل مساء يقدم لنا هذا « التلفزيون - الجاسوس» مسلسلات جهنمية ، بطلها ، الوسيم ، المنتصر دائما ، هو رجل المخابرات المركزية الاميركية « ٢١٨ » هكذا ، بلا خجل ولا رفة جفن ٠!

واذا ترأف بنا السادة ذو الياقات المشرفون على هذا السلاح الفتاك ، فانهم يقدمون مسلسلات ابطالها رجال من اساطنة الاقطاع !٠

والواقع ان هذه النماذج البطولية التي تمطر كل ليلة في بيوتنا ، وتقتحم بلا رادع ولا وازع عقولنا وعقول ابنائنا ، هي احط انواع الغزو الفكري الذي هو اساس الغزو الاستعماري ٠٠٠

وقد بلغت في الفترة الاخيرة ، خصوصا مع القدوم الجميل لحكومة الشباب ، درجة لا اعتقد ان اي شخص يستطيع ان يتجاهلها : ففي كل ليلة ، على الشاشة الصغيرة ، قصص متقنة عن كيف ان سي اي ايه الاميركية هي جمعية خيرية تطوعية لانقاذ الشعوب من « اذى » اليسار والثورة والثوار ، وكيف انه لولا رافة البيت الابيض وأخطبوطه الاشقر الاحمر لكانت قضية الامن والسلام في هذا العالم على كف عفريت ٠٠ وكيف ان اليسار حركة « حمقاء » ، وان قادة التحرر في العالم الثالث « قرطة » من المغامرين الذين لا يعرفون ماذا يريدون ، وأن رسول الرحمة الاميركي (وهو موظف متواضع في وكالة الاستخبارات الاميركية) شغلته وعملته التفتيش والبحث عن كل ما من شأنه ان يجعل الحياة ماء وخضرة ووجه حسن !

وهذا البطل ، الذي يعمل لحساب السي اي ايه لا ينتشر في كل الحالات فحسب ، ولكنه ايضا زير نساء ، ومعه حق ، وأمامه يبدو الوطنيون جهلة وحمقة ٠٠٠ وقصار القامة ايضا ! ٠

ثقافة « الي يي »

ونحن لا نعتقد ان القضيه صدفة ، ولكنها قضية مدروسة ، وان الاستخبارات الاميركية التي تعرف ان التلفزيون هو اكثر ادوات التأثير رواجا ، انما تقوم بمهمة دؤوبة ، هدفها خلق جيل ذنوع معجب بالبطش الاميركي ويخافه ، مغسول بثقافة « اليي يي » ، ويشك في جدوى اي عمل يمكن ان يفكر في القيام به لنزع نير العبودية عن عنقه ٠

ان الاستعمار في هذا العصر الحديث لا يحتاج الى احضار جنوده شخصيا الى المسرح ، لانه يستطيع ان يحقق غاياته عبر مختلف الوسائل ٠ السينما واحدة منها ، التلفزيون اكثرها رواجا وخطرا ٠٠ انظروا - ايها الاباء والامهات والوزراء - ليلة واحدة فقط الى التلفزيون ، وتفرجوا كيف يصبون في رؤوسنا كل ليلة ان « سرماية رجل ٢ المخابرات الاميركية تحكم العالم ، وتشوط كل من يفكر في التخلص منها وهي تضغط على عنقه وتفرجوا كيف ان هذا الارهاب الفكري » الذي يلقم لنا في اطار فني جذاب (مثلما الذي يشرب ابنه زيت الخروع في حبة شوكولا) هو اهانة ليس لضميرنا الوطني فحسب ، بل لاخلاقنا وكرامتنا ، واستهانة بذكائنا ٠

وهذا الحديث موجه الى من في يدهم التلفزيون وهو يحمل سؤالا بسيطا : هل تخلصنا من هذه السموم « مهمة مستحيلة » ؟

"فارس فارس"